

المبحث السابع :

مساندة القبيلة والعشيرة للدعوة الإسلامية، ونقد
موقف (راند)

المبحث السابع

مساندة القبيلة والعشيرة للدعوة الإسلامية، ونقد موقف (راند)

تعريف القبيلة (Tribe): القبيلة: «هي الجماعة التي يُقبل بعضها على بعض»^(١). «وهم بنو أبٍ واحد»^(٢).

و«إذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوباً»^(٣).

تعريف العشيرة (Clan): العشيرة: اسم «لكل جماعة من أقارب الرجل الذين يتكثر بهم»^(٤).

وتدرج القبيلة والعشيرة من الكثرة إلى القلة: الشعب، ثم القبيلة، ثم الفصيلة، ثم العشيرة، ثم الذرية، ثم العترة، ثم الأسرة^(٥).

سيتناول هذا المبحث بيان أهمية القبيلة والعشيرة للمجتمع والدولة، وبيان قدرة الإسلام على توحيد القبائل وكسب ولائها، وتربيته لها على نبذ العصبية القبلية. كما سيبين علاقة القبيلة بالسياسة وبالحكومة الإسلامية، وعلاقتها أيضاً بالديمقراطية. وسيعرض رأي خبراء (راند) في مجمل ذلك مع نقده أو التعليق عليه. وذلك في أربعة مطالب.

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن المناوي، تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان، (القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠هـ)، ص ٢٦٧.

(٢) الصحاح ١٧٩٧/٥.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ٢٥٦.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، ص ٢٤٢.

(٥) فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، تحقيق د. فائز محمد ود. إميل يعقوب، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ)، ص ٢٠٢.

المطلب الأول: أهمية القبيلة والعشيرة:

«عني العرب في الجاهلية والإسلام بأنسابهم، فحفظوها ورووها في جاهليتهم، ودونوها في إسلامهم، وأصبحت لديهم علمًا له فوائده وقواعده»^(١).

وكانت الأنساب في الجاهلية قوة يعتمدون عليها في دفع كثير من الأخطار، يوم لم تكن لهم دولة تحميهم. كما كانت موضع فخر وشرف واعتزاز^(٢).

ولما جاء الإسلام هذب النظر إلى الأنساب، وجعل ملاك الأمر التقوى، وجعل الأنساب ليتعارف الناس فيما بينهم، ويعرفوا أرحامهم التي أمر الله تعالى أن تُوصل، لا ليتفاخروا بتلك الأنساب، ويتعصبوا لها، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣). «وفي هذه الآية ما يدل على أن التقوى هي المراعى عند الله تعالى وعند رسوله دون الحسب والنسب. وقرأ ﴿أَنَّ﴾ بالفتح، كأنه قيل: لم لا يتفاخر بالأنساب؟ قيل: لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم»^(٤).

وحدث النبي ﷺ على تعلم الأنساب؛ ليصل المسلم رحمه، قال ﷺ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ»^(٥). وأعلى الإسلام من شأن صلة الرحم، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّىٰ إِذَا فَرَّغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ. أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ. قَالَ: فَذَاكَ لَكَ»^(٦).

(١) مقدمة تحقيق طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، عمر بن يوسف بن رسول، تحقيق ك.و. سترستين، (دمشق، المجمع العلمي العربي، ١٣٦٩هـ)، ص ٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٥/١٦.

(٥) الترمذي ٨٨/٤، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في تعليم النسب، ح ٢٠٩٤؛ والحاكم، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، المستدرک ١٧٨/٤، كتاب البر والصلة، ح ٧٢٨٤.

(٦) متفق عليه: البخاري ٥٠/٦، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَقُطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾، ح ٤٨٣٠؛ ومسلم ١٩٨١/٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ح ٢٥٥٤.

ولا ينفي ذلك أهمية القبيلة والعشيرة في الاستعانة بهم على أمر الدين والدنيا، قال ابن خلدون رحمه الله: فائدة النسب: «هذا الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة»^(١). وقال الشنقيطي رحمه الله: «لا ننكر أن المسلم ربما انتفع بروابط نسبية لا تمت إلى الإسلام بصلة، كما نفع الله نبيه ﷺ بعمه أبي طالب. وقد بين الله جل وعلا أن عطف ذلك العم الكافر على نبيه ﷺ من منن الله عليه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾^(٢)، أي: آواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب.

ومن آثار هذه العصبية النسبية قول أبي طالب فيه ﷺ:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا ...

وقد نفع الله بتلك العصبية النسبية شعيباً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، كما قال تعالى عن قومه: ﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرْدُكَ فِينَا ضِعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾^(٣) الآية.

وقد نفع الله بها نبيه صالحاً أيضاً، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام؛ كما أشار تعالى لذلك بقوله: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾^(٤)، فقد دلت الآية على أنهم يخافون من أولياء صالح، ولذلك لم يفكروا أن يفعلوا به سوءاً إلا ليلاً خفية، وقد عزموا أنهم إن فعلوا به ذلك أنكروا وحلفوا لأوليائه أنهم ما حضروا ما وقع بصالح خوفاً منهم. ولما كان لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لا عصبية له في قومه ظهر فيه أثر ذلك حتى ﴿قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^(٥)...

(١) مقدمة ابن خلدون ٢/٤٨٤.

(٢) سورة الضحى، الآية: ٦.

(٣) سورة هود، من الآية: ٩١.

(٤) سورة النمل، الآية: ٤٩.

(٥) سورة هود، الآية: ٨٠.

فيلزم الناظر في هذه المسألة أن يفرق بين الأمرين، ويعلم أن النداء بروابط القوميات لا يجوز على كل حال، ولا سيما إذا كان القصد بذلك القضاء على رابطة الإسلام، وإزالتها بالكلية بدعوى أنه لا يساير التطور الجديد، أو أنه جمود وتأخر عن مسايرة ركب الحضارة. نعوذ بالله من طمس البصيرة. وأن منع النداء بروابط القوميات لا ينافي أنه ربما انتفع المسلم بنصرة قريبه الكافر بسبب العواطف النسبية والأواصر العصبية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، كما وقع من أبي طالب للنبي ﷺ ... والحاصل أن الرابطة الحقيقية التي تجمع المفترق وتؤلف المختلف هي رابطة «لا إله إلا الله»^(١).

فمن أهمية القبائل والعشائر أنه يُعتمد عليها في النصرة والحماية، قال ابن خلدون رحمه الله: «وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب، وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء؛ لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة؛ والله حكيم عليم»^(٢).

فمعرفة القبائل والأنساب من غير تعصب لها، ولا فخر على الناس بسببها، من الأمور المطلوبة، والمعارف المندوبة؛ لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية، حيث وردت الشريعة باعتبارها في مواضع، منها: العلم بنسب النبي ﷺ، ومنها: التعارف بين الناس؛ حتى لا يعتزي أحد إلى غير أبيه، ومنها: اعتبار النسب في الإمامة التي هي الزعامة العظمى، ومنها: اعتبار النسب في كفاءة الزوج للزوجة^(٣)، ومنها: الاستعانة بهم على أمر الدين والدنيا.

(١) أضواء البيان ٣/ ٥٢٩-٥٣١.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٢/ ٥٢٩.

(٣) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق إبراهيم الأبياري، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٣هـ)، ص ٧-٨.

المطلب الثاني : قدرة الإسلام على توحيد القبائل، وكسب ولائها، ونبد العصبية القبلية، ومحاولة (راند) الوقوف ضد ذلك:

يقرر أحد خبراء (راند) بقدرة الإسلام على تحويل الولاءات القبلية إلى الولاء للدولة الإسلامية، يقول (جوزيف كيشيشيان): "يظل الإسلام هو النموذج الأساس الذي يقود إلى اتخاذ القرارات المناسبة والمقبولة. ففي السعودية -على سبيل المثال- نجد أن الإسلام قد نجح في تحويل الولاءات من الوحدة القبلية الضيقة إلى مستوى الدولة، كما وفر عنصرًا أساسيًا للثقة بين أعضاء النظام الحاكم السعودي؛ وبالتالي فإن آل سعود سيحافظون على الإسلام باعتباره العامل البارز في إضفاء الشرعية"^(١).

وقريبًا من ذلك في شأن قبائل (الباشتون)^(٢) في أفغانستان، رأت دراسة (الحرب بوسائل أخرى) أنه ليس هناك تناقض بين شيوخ القبائل وعلماء الدين، على أن هذه العلاقة متراوحة بحسب الظروف، لكنها تكون علاقة اتحاد عندما تتعرض أفغانستان للغزو. بل حتى في القبائل المنقسمة على نفسها، فإنها تحتشد ضد عدوها عندما ترفع راية الجهاد. وحالة قبائل (الباشتون) تشبه أيضًا حالة أهل السنة في العراق^(٣).

ويشير (فولر، وليستر) إلى أن النبي محمدًا ﷺ أوجد أمة إسلامية جديدة، تجاوزت الولاءات العشائرية، والانتماءات القبلية والإقليمية، والاختلافات العرقية، في تكوين كيان جديد^(٤). كما يشيران إلى أن المسلمين ينظرون -دائمًا- إلى القبلية باعتبارها حجر عثرة في طريق التضامن الإسلامي، ومعيقة لعالمية الإسلام^(٥).

(١) Political Dynamics and Security in the Arabian Peninsula Through the 1990s. P. xvii

(٢) إحدى أكبر الجماعات العرقية في كل من أفغانستان وباكستان، ويكوّنون نصف سكان أفغانستان تقريبًا، وخمس سكان باكستان، ويتكونون من أربعين قبيلة، ويعيش معظمهم بين الدولتين، وأغلبهم مسلمون. الموسوعة العربية العالمية ٤/ ١٠١، مادة: (الباشتونيون).

(٣) War by Other Means. P. 52

(٤) A Sense of Siege. P. 32

(٥) المرجع السابق: P. 114

ويرى (فولر) أن الحركة الإسلامية قامت بمهام مهمة في تنمية الدول الإسلامية من خلال المساعدة في تقليل الصراعات الداخلية القائمة على التنوع العرقي، وهي تعارض بقوة أن يكون الأساس العرقي مرتكزاً للدولة، وفي هذا المعنى كانت الحركات الإسلامية قوة تكاملية في العملية السياسية وفي المجتمع بأجمعه^(١).

وذلك صحيح، والدعوات الإسلامية قامت كذلك بمثل تلك المهام، فالإسلام وُحِّد الاختلافات بأنواعها، ونبذ العصبية القبلية؛ ولذا كثرت دعوة العلماء للشعوب والحكام، عبر تاريخ المسلمين، إلى الاجتماع على الإسلام، والاتحاد حوله، وترك دعاوى الجاهلية.

لكن هذه الميزة للإسلام لا تعجب بعض خبراء (راند)، فأشاروا إلى مداخل وأفكار، للقضاء عليها، ثم التفريق أيضاً وإثارة الخلافات بين القبائل والعشائر، وإحكام السيطرة عليها، والتحكم بها. حيث تُعدُّ دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) القبائل والعشائر من ضمن الانقسامات في العالم الإسلامي، مثل السنة والشيعة، والعرب وغير العرب^(٢)، التي يمكن أن يستغلها الغرب بوجه من الوجوه. وتذكر دراسة (فهم مقدمات التمرد)، التي أعدت لوزارة الدفاع الأمريكية، عام ١٤٢٨هـ، أن اليهود حاولوا في بداية احتلالهم فلسطين إحداث خلافات بين العشائر؛ مما أثّر في ضعف المجتمع الفلسطيني وانقسامه؛ لذا لم يواجه اليهود تهديداً لأمنهم لما استولوا على الضفة الغربية وغزة عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م^(٣). وتستشهد بتجربة الاحتلال اليهودي لفلسطين، حيث وجد سهولة في التحكم بالقبائل والعشائر الفلسطينية من خلال السيطرة على قادتها، بما يتميز به النظام القبلي من خضوع القبائل لقادتها^(٤). ويشير مرجع آخر لـ(راند) إلى أن «هناك جهوداً جارية لتقسيم قبائل (الباشتون)، ونقلها بعيداً عن حركة (طالبان). فوصول (الباشتون) للحكومة سيكون مثيراً للجدل، وفي الوقت نفسه فإن الحكومة لا تستطيع أن تعمل بدونها»^(٥).

(١) Islamic Fundamentalism in the Northern Tier Countries. P. 10-11

(٢) The Muslim World after 9/11. P. xvii

(٣) Understanding Proto-Insurgencies. P. 21

(٤) المرجع السابق: P. 23

(٥) U.S.-India Strategic Dialogue, Rollie Lal, Rajesh Rajagopalan, (Santa Monica, Rand, 2004). P. 25.

المطلب الثالث : القبيلة وعلاقتها بالسياسة والحكومة الإسلامية:

يقول باحث عربي لا يتبع (راند): أغرت دراسة القبائل بكونها نظاماً اجتماعياً غير معروف في دول الغرب كثيراً من الكتاب الإنجليز والأمريكان^(١).

وتقر بعض دراسات (راند) بضعف المعرفة الأمريكية للمكونات القبلية وسلوكياتها، حيث تعترف دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) بأن الفشل في الفهم الكامل للسياسات القبلية كان أحد أسباب التورط الأمريكي الكارثي في الصراع الصومالي في بدايات التسعينيات الميلادية، ولم تتقدم المعرفة بها حتى بعد مرور عشرة أعوام، فلا تزال الحكومة الأمريكية لا تعرف سوى القليل عن القوى القبلية الفاعلة في المناطق التي تعمل فيها القوات الأمريكية. وتقول: من الضروري للولايات المتحدة وهي تسعى لسياسة نشطة في المناطق المضطربة من العالم أن تفهم وتتعلم كيفية إدارة المسائل القبلية^(٢).

وتقترح دراسة (الحرب والتصعيد في جنوب آسيا) مجموعة خطوات لتحسين قدرة الجيش الأمريكي في النهوض والدفاع عن مصالح الولايات المتحدة، ومن تلك الخطوات: إثراء فهم الجيش للعشيرة والقبيلة، وغيرها من الظواهر الاجتماعية في المنطقة^(٣).

وقد نبّهت بعض دراسات (راند) إلى أهمية القبائل والعشائر في علاقتها بالسياسة وبالحكومة، فترى دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) أن القبائل والعشائر تعد المحرك الأول للسلوك السياسي، وأن البعض يرى أن كثيراً من الاحتلال الوظيفي في الشرق الأوسط يعود إلى ارتكاز الدولة الحديثة على قواعد اجتماعية تحفظ المكونات القبلية والعشائرية القوية^(٤). ففي

(١) تقدم د. محمود أبو العلا لنشرة: القبائل والسياسة في شرقي شبه الجزيرة العربية، ج. أ. بترسون، ترجمة حسن علي اللبودي، نشرة دورية (٦)، (الكويت، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، والجمعية الجغرافية الكويتية، رجب/١٣٩٩هـ)، ص ٥.

(٢) The Muslim World after 9/11. P. xviii

(٣) War and Escalation in South Asia. P. xiv

(٤) The Muslim World after 9/11. P. 34

شبه الجزيرة العربية يسيطر الحكم الملكي القائم على العشيرة^(١). وتُعدُّ القبائل في الأردن وبعض دول الخليج الركيزة الأساس للملكيات المحافظة^(٢).

ويرى (راباسا) أن أفراد القبائل يقدمون الولاء والاتباع لقادتها، فإذا كان قائد القبيلة يوالي الحكومة، فستكون قبيلته جميعها موالية لها. لكن هناك استثناءات، فقد لا توافق بعض العشائر والأسر على اتباع قادتها^(٣).

كما يشير إلى قدرة العلماء في أفغانستان -في ظل حكومة طالبان سابقاً- على حشد القبيلة، وإعلان الجهاد، وتفوقوا بذلك على شيوخ القبائل^(٤).

وفي الجانب التشريعي، تُبين ورقة (راباسا) في مؤتمر (أفغانستان: الدولة والمجتمع)، مدى استقلال بعض القبائل في أفغانستان في السيطرة التشريعية والقضائية المستقلة، فحاكم القبيلة بإمكانه سجن أي شخص لمدة ثلاث سنوات دون اتباع الإجراءات القانونية الواجبة^(٥).

إن الميزة التي تنشأ عن لحمه القبيلة في علاقتها الإيجابية بالدولة الإسلامية، هي في مفهوم (راند) سبب في الاختلال الوظيفي للدولة الحديثة! وهذا -في تقدير الباحث- لأنهم يريدون من الدولة الحديثة أن تكون مسلوبة السيادة، تابعة لكل نظام دولي صالح أو فاسد، وخاضعة له بموجب الأحكام الدولية، وأن القبيلة تُكوّن عقبة في عدة مجالات، منها: أنها عقبة أمام اهتزاز سيادة الدولة المستقلة ونقصانها، وعقبة أمام تنفيذ بعض القرارات والمواثيق الدولية التي تتضمن مصادمة صريحة للأحكام الشرعية، أو للأعراف الصالحة.

ولذلك حاولت بعض دراسات (راند) تفسير العلاقة القوية بين القبيلة وتطبيق الإسلام في الواقع، تقول دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١): إحدى الافتراضات في تفسير نزوع القبائل

(١) المرجع السابق: P. 73-74

(٢) نفسه: P. 35

(٣) Afghanistan: State and Society. P. 32

(٤) المرجع السابق: P. 31

(٥) نفسه: P. 30

إلى تطبيق الإسلام بصرامة: أنها موروثة لنمط حياتهم وتاريخهم؛ لذا يرى أحد الملاحظين أن كثيراً من خصائص (الإسلام المتطرف) تجد جذورها في العادات القبلية التي تسبق الإسلام^(١). إن القبيلة إذا كانت تدعم الإسلام، وتعاوض الدولة الإسلامية وتحميها، فينبغي دعمها وتقويتها، وإن كانت ضد الإسلام، أو تعمل سلباً ضد بعض تشريعاته، كتقديمها الأعراف القبلية على الأحكام الشرعية، فينبغي إصلاحها ودعوتها إلى تحكيم شرع الله تعالى، فإذا لم تقبل فينبغي الوقوف ضدها، والحد من قوتها وسلطتها.

وتبرز أهمية دعم القبيلة وحماية مكانتها لما تقوم بها من حماية بيضة الإسلام، والذب عنه، وإسهامها في جهاد الأعداء، فبها تُحمى الدولة المسلمة، ويُهَاب جنابها. يقول ابن خلدون رحمه الله: إن صاحب الدولة إنما يتم أمره بقومه، فهم عصابته وظهراؤه على شأنه، وبهم يقارع الخوارج على دولته. فإذا جاء طور ثان بحيث ظهر استبداد صاحب الدولة عنهم، حتى صاروا من بعض أعدائه، واحتاج في مدافعتهم إلى آخرين من غير جلدتهم، يستظهر بهم عليهم، ويتولاهاهم دونهم؛ فهذا مؤذن باهتضام الدولة، وعلامة على المرض المزمن فيها؛ لفساد العصبية التي كان بناء الغلب عليها، فيعود وبال ذلك على الدولة^(٢).

ويقول أيضاً: إن الدولة إذا لم يكن لها مناصر من العشائر والقبائل المناصرة لها، فإنه يسهل الاستيلاء عليها وانتزاع الأمر من يدها^(٣). وهذا تماماً أهم ما يريده خبراء (راند) في موقفهم من القبلية والعشيرة. وتجربة الولايات المتحدة في غزو الصومال وأفغانستان والعراق، وفشلها في تحقيق جملة من أهدافها في هذه البلدان، وبروز القبائل والعشائر في الدفاع عن البلاد، وجهادها ضد الغزاة، يجعل خبراء (راند) ينظرون إلى القبائل باعتبارها أحد الأنداد الألداء للغرب بعد إسقاط أي حكومة في العالم الإسلامي.

(١) The Muslim World after 9/11. P. 44

(٢) مقدمة ابن خلدون ٥٦٧/٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق ٥٠٠/٢.

المطلب الرابع : القبيلة والديمقراطية:

عُنت (راند) بلفت النظر إلى أثر القبيلة في ترجيح كفة الترشح في انتخابات المجالس البلدية، ومجالس الشورى، والمجالس النيابية، حيث تشير دراسة (حرية أكثر، إرهاب أقل) إلى وجود نقد لمتابعين غربيين وسعوديين في أن التكتلات القبلية من الأسباب التي كانت خلف فوز الإسلاميين في الانتخابات البلدية في السعودية عام ١٤٢٥ هـ، وأن هذه الطريقة لا تناسب المعايير السياسية ولا تدعم التعددية، وبخاصة إذا ما تحولت هذه الصورة إلى انتخابات مباشرة لأعضاء مجلس الشورى، ويشيرون إلى أهمية زراعة بدائل غير إسلامية، وغير قبلية، تضرب بجذورها في المجتمع المدني^(١).

وفي انتخابات الكويت عام ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣ م، تشير دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) إلى أن الإسلاميين حققوا مكاسب فيها؛ نتيجة لدعم الحكومة وتأييد القبائل، في حين خسر (الليبراليون) خسارة كبيرة^(٢).

وترى دراسة (الحرب والتصعيد في جنوب آسيا) أن العشيرة والقبيلة والتأثيرات العرقية تعمل بصفة بدائل للمجتمع المدني في بعض أجزاء جنوب آسيا، وبخاصة في أفغانستان^(٣).

كما ترى أن القبائل والعشائر تمارس نفوذاً في أجزاء من منطقة جنوب آسيا. وتُكوّن في بعض الحالات نوعاً من البديل للمجتمع المدني، وتحل محل نمط العمليات السياسية الغربية. وفي بعض الحالات تمتلك القبائل قوات خاصة بها. وتُعيق القبائل والعشائر - في كثير من الحالات - تطور الأحزاب السياسية على المثال الغربي، والخطاب السياسي التعددي^(٤).

ويتضح من ذلك أن (راند) لا ترغب في أن تكون القبيلة مصدر دعم للأحزاب الإسلامية، ولا للأشخاص المستقيمين على منهج الإسلام، وترى (راند) أن الحل يكون في إيجاد بدائل غير

(١) More Freedom, Less Terror? P. 117

(٢) The Muslim World after 9/11. P. 135

(٣) War and Escalation in South Asia. P. 19

(٤) المرجع السابق: P. 24-25

إسلامية، وغير قبلية، تدعم الأحزاب والتوجهات غير الإسلامية. والأقرب أن هذه البدائل هي (مؤسسات المجتمع المدني)، بالإكثار من تأسيسها، ودعمها، وتوجيهها.

وهي بهذا تحاول أن تقضي على ركيزتين من أهم ركائز قوة الدولة الإسلامية، وهما الدعوة الإسلامية، والقبيلة المناصرة للدولة، يقول ابن خلدون رحمه الله: الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها؛ والسبب في ذلك أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية وتُفرد الوجهة إلى الحق. فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء؛ لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم، وهم مستميتون عليه، فلا يقاومهم أحد، وهذا ما وقع للمسلمين في فتوحات صدر الإسلام^(١).

ولو أن خبراء (راند) ذهبوا إلى نحو ما ذهب إليه د.قاسم الدويكات في تحذيره من أثر العشائر في وصول نواب غير أكفاء إلى مجلس النواب، أو تعزيز الإقليمية في الأردن^(٢)، لكانت لديهم موضوعية يمكن تقبلها، لكنهم جانبوا الموضوعية عندما بنوا التحذير من القبائل والعشائر على أساس عقدي وفكري، وكان غاية تحذيرهم: تحقيق المصالح الغربية.

ويفاد من ذلك ومما سبق في المطلب الثاني: أن الاستشراق الحديث يحاول أن يجعل لكل أمر ذي بال يدعم الإسلام منافساً يكون ضده، ويزاحمه في مساره، ويحاول التغلب عليه. كما يحاول أن يُحدث لما يدعم الإسلام المشاكل المناسبة، إما في التشويه، أو في الإضعاف، أو في التشيت والتفريق، ونحو ذلك. وهذا ينطبق على القبيلة والعشيرة كما هو هنا، وينطبق على المسجد، والشرعية الإسلامية، والجهاد في سبيل الله تعالى، والمؤسسات الخيرية، والدعوات الإسلامية وروادها، والأحزاب الإسلامية، وغير ذلك.

(١) مقدمة ابن خلدون ٢/٥٢٧.

(٢) "دور الانتماءات العشائرية والإقليمية في الانتخابات النيابية الأردنية: دراسة في الجغرافيا والسياسة"،

د.قاسم بن محمد الدويكات، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، مج ١٦،

٢٤، جمادى الأولى/ ١٤٢٥هـ، ص ٢١٦.